نظريات النمو

1. **نظرية التحليل النفسي، النمو النفسي والجنسي:** مرحلة الرضاعة، الطفولة المبكرة، ما قبل المدرسة الابتدائية، المدرسة الابتدائية، المراهقة.

تؤكد نظرية فرويد على اهمية خبرات الطفولة المبكرة ودوافع اللاوعي في التأثير في السلوك، فالعديد من المحفزات الغريزية وذكريات الخبرات الصادمة يتم اخمادها في اوقات مبكرة من الحياة، حيث يتم اقصاؤها من الوعي الشعوري الى العقل اللاشعوري، الامر يؤدي الى الاستمرار في تأثيرها في السلوك وحدوث القلق والصراع.

ويرى فرويد ان التثبيت يعود بجانب العوامل الجبلية (الوراثية) الى عوامل ذات طبيعة تربوية اجتماعية وعلى رأس هذه العوامل الاشباع المسرف في سني المهد والطفولة المبكرة والذي يجعل الطفل لا يريد ان يترك هذا المستوى الذي ينعم فيه بالإشباع والمتعة. ولكن النمو يتابع سيره الى المرحلة الاتية، ولكن بعد ان يكون قد تخلف قدر كبير من الطاقة الليبيدية في المرحلة التي حدث فيها التثبيت، ومن عوامل التثبيت ايضاً الاحباط الشديد الذي يجعل الطفل يجد صعوبة في تخطي هذا المستوى الى المستوى التالي طلبا للإشباع الذي كان من المفروض ان يتلقاه في هذه المرحلة كما ان التثبيت قد يحدث في ظل الاشباع المسرف والاحباط الشديد لأنه كثيرا ما يكون التناوب بين الاشباع المسرف والاحباط الشديد هو العامل الحاسم وراء التثبيت. وإذا لم يحدث تثبيت للطاقة الليبيدية في اية مرحلة وواصلت سيرها، فان الطفل ينتقل من مرحلة سيكولوجية الى التي تليها، ويستمد الطفل اشباعه لطاقته الغريزية في كل مرحلة خلال عضو معين من اعضاء جسمه ويسمى فرويد المراحل النفسية باسم العضو الذي يستمد منه الطفل الاشباع في مرحلة معلية.

د. محمد عبد مطشر اللامي

مراحل النمو النفسي:

1) **مرحلة الفمية Oral Stage:** وتغطي هذه المرحلة السنة الاولى من عمر الطفل الرضيع، ويحدث الاشباع عنده في هذه المرحلة من استثارة الشفاء واللسان والفم، ويكون سلوك الرضاعة هو المصدر الرئيسي للذة في حل هذه المشكلة، ويوجه الانا الجديد للطفل في هذه المرحلة انشطة الرضاعة نحو ثدي الام او زجاجة الحليب، وإذا لم يتم الاشباع الفمي في هذه المرحلة بشكل مناسب فقد يطور الطفل عادات كمص الاصبع او قضم الاظافر او التدخين في مراحل لاحقة من حياة الطفل.

2) **المرحلة الشرجية Anal Sage:** خلال العامين الثاني والثالث من حياة الطفل تصبح المنطقة الشرجية مركز اهتمامات الطفل الجنسية، حيث يتزايد وعي الاطفال باللذة الناجمة عن حركة الامعاء على الاغشية المخاطية للمنطقة الشرجية، وتتحقق هذه اللذة من خلال اشباع الحاجة الحيوية للتخلص من الفضلات وفي هذه المرحلة تتصف علاقة الطفل مع محيطه وخاصة الام بأهمية كبيرة لتطوره اللاحق، ويقدر فرويد ان بعض الخصائص التي يتمتع بها الفرد في مراحل لاحقة من حياته كالعناد والانضباط والدخل تتبع من الخبرات التي بها الطفل في المرحلة الشرجية، وبناء على ذلك فإن الشخصية التي تتسم بهذه الخصائص هي امتداد للطفولة في تلك المرحلة ومشتقة منها.

3) **المرحلة القضيبية Phallic Stage:** تغطي هذه المرحلة الفترة الزمنية بين ثلاث الى ست سنوات من عمر الطفل ويحصل الاطفال في هذه المرحلة على المتعة من خلال اثارة الاعضاء التناسلية، واذا حدث ما يؤثر على سير النمو كما يحدث خلال ظاهرة التثبيت فإن علاقة الطفل بأمه تظل قوية وتتعطل عملية التوحد مع الوالد كما تستمر روابط الطفلة العاطفية بوالدها او تضطرب علاقة الطفل بوالديه معا. ويترتب على ذلك اضطرابات في الشخصية والسلوك فيما بعد.

4) **مرحلة الكمون Latency Stage:** تغطي هذه المرحلة الفترة ما بين السادسة وسن البلوغ، ففي الفترة الممتدة من نهاية المرحلة القضيبية حتى البلوغ تهدأ الازمة القضيبية وتتراجع الاهتمامات والمشاغل الجنسية، ويسمي فرويد هذه المرحلة من الهدوء بفترة الكمون التي تمتد من افول الجنسية الطفلية في العام الخامس او السادس حتى بداية سن البلوغ، حيث يكرس وقته وطاقته للتعلم

د. محمد عبد مطشر اللامي

والانشطة البدنية والاجتماعية ويتحول مصدر اللذة من اللذات للافراد الاخرين عندما يصبح الطفل مهتما في تكوين الصداقات مع الاخرين.

5) **المرحلة التناسلية Genital Stage:** يرى فرويد ان هذه المرحلة تغطي فترة المراهقة فابتداء من البلوغ تصبح المهمة الكبرى للفرد هي ان يحرر نفسه من ابويه، وبالنسبة للذكور فإن ذلك يعني ان يتخلص من ارتباطه بأمه وان يجد امرأة خاصة به، وان يتخلص ايضا من منافسته لأبيه ويحرر نفسه وبالتالي من سيطرة ابيه عليه، وكذلك الحال بالنسبة للبنت اذ ينبغي ان تنفصل هي ايضا عن الابوين وتبدأ حياتها الخاصة ولاحظ فرويد ان هذه الاستقلالية لا تتم بسهولة مطلقا بسبب اعتيادها لسنوات طويلة الاعتماد على الوالدين والارتباط الكبير بهم عاطفيا، ويرى فرويد ان التغيرات التي تحدث في فترة المراهقة لا تحدث عند الجنسين بالطريقة ذاتها باعتبار ان الهدف الجنسي الجديد يعطي كلا من الجنسين وظائف مختلفة واذا كان التطور ناجحا في هذه المرحلة وغيرها من المراحل السابقة فإنه يقود الى الزواج والنضج الجنسي وانجاب الاطفال وتربيتهم.

2. نظرية إرك اركسون في التطور النفسي والاجتماعي: مراحل النمو النفسي والاجتماعي.

اختلف اريك اركسون (1902-1994) مع فرويد في العديد من الجوانب، فقد اعتقد ان فرويد ركز كثيرا على دور الدوافع الجنسية في سلوك الانسان وقد استنتج في نظريته النفس اجتماعية الى ان هناك دوافع نفسية اجتماعية اخرى وحاجات تصبح بمثابة قوى دافعة في تطور الانسان وسلوكه، واتفق مع فرويد في التأكيد على اهمية الخبرات المبكرة، غير انه رفض اهمال فرويد للتطور الذي يحدث عند الفرد في فترة الرشد. كما رفض اريكسون ايضا نظرة فرويد التشاؤمية حول الطبيعة الانسانية، واعتقاده بعد قدرة الانسان على التعامل مع المشكلات التي يواجهها حيث يرى اريكسون ان الناس قادرون على مواجهة الصعوبات وحل الصراعات المختلفة التي تزخر بها حياتهم.

ويعتقد اريكسون بأن هوية الفرد الشخصية تنمو من خلال سلسلة من ازمات النمو والتطور النفس اجتماعية، التي يمكن ان تؤدي الى تطور الشخصية او نكوصها وهي التي تجعل شخصياتنا اكثر

د. محمد عبد مطشر اللامي

او اقل تكاملا ويرى ان الفرد في دورة تطوره المستمرة مرغم على التفاعل مع فئات مجتمعية واسعة توفر له الفرة لتطوير شخصية سوية قادرة على فهم وادراك ذاتها، بالاضافة الى ادراك العالم الذي يحيط بها.

وسنتعرف فيما يلي على هذه المراحل:

1) **مرحلة الثقة في مقابل عدم الثقة trust versus mistrust:** يواجه الوليد في عامه الاول الازمة الاولى، اذ يولد وهو محايد بين شقي الازمة، بمعنى ان لديه القابلية لكليهما، وما يمر به من خبرات هو الذي يقرر ويحسم هذه الازمة لصالح أحدهما، فإن كانت هذه الخبرة ايجابية سارة، ممتعة تتكون لديه مشاعر الثقة. وعلى العكس ان كانت تلك الخبرات التي يتعرض لها سالبة، حزينة، متعبة حيث تتكون لدى الرضيع مشاعر عدم الثقة.

2) **مرحلة الاستقلالية في مقابل الشعور الخجل Autonomy Vs. Shame:** في العامين الثاني والثالث من عمر الطفل يواجة الازمة الثانية. ان ما انتهى اليه الرضيع في المرحلة الاولى وما يمر به من خبرات ابن السنتين الثانية والثالثة يقرران مسار هذه الازمة. فالشعور بالثقة يساعد الطفل على استكشاف ان ما يقوم به من سلوك هو سلوكه هو، وعلى تطوير مشاعر بالقدرة على تسيير بعض شؤونه والاحساس بالاستقلالية عمن تولوا رعايته في عامه الاول وعلى النقيض يكون حاله فيما لو طور في المرحلة الاولى مشاعر عدم الثقة. وينمو الشعور بالاستقلال عند الاطفال من خلال قيام الام باطلاق العنان للمبادأة لديهم. وفي هذه المرحلة تحدث اكثر مظاهر التعلم وضوحا من خلال التدريب على عادات الاخراج والطفل الذي يحسن والداه معاملته يصبح سعيدا ويتمكن من ضبط ذاته.

3) **مرحلة المبادأة في مقابل الشعور بالذنب Initiative Vs. Guilt:** يواجه الطفل هذه الازمة في السنوات الرابعة والسادسة من عمره فمن المتوقع ان يخبر العالم الاجتماعي من حوله ويحتك به، ان ما انتهى اليه سيعمل على تأصيل وتوسيع دائرة الاستقلالية مما يدفع به الى ممارسات سلوك اعقد ويسعى لتحمل مسؤولية افعاله. ولابد للطفل في هذه المرحلة من الانطلاق في البيئة دون الاعتماد على الاخرين لتطوير شعور المبادأة اما الاستمرار في الاعتماد على الوالدين وغيرهم فأنه يطور شعورا بالذنب لإحساسه بالعجز عن تلبية توقعات المجتمع في التفاعل مع بيئته مستقلا عن والديه.

د. محمد عبد مطشر اللامي

4) **مرحلة الانجاز في مقابل بالنقص Industry Vs. Inferiority:** تستغرق هذه المرحلة سنوات اطول اذ تمتد من السادسة الى سن الثانية عشر. ان طفلا طور مشاعر الثقة والشعور بالاستقلالية والقدرة على المبادرة مرشح ان سار كل شيء على ما يرام ان يحسم ازمة هذه المرحلة لصالح الشعور بالقدرة على الانجاز ان في البيت او في المدرسة فيما يكلف به من واجبات مدرسية او اسرية وما تفرضه عليه جماعة الرفاق من مهمات يؤديها ويحرص على ان يكون هذا الاداء جيدا وبالسرعة الممكنة والعكس بالعكس.

5) **مرحلة تحديد الهوية في مقابل اضطراب الهوية Identity Vs. Identity Diffusion:** تبدأ هذه المرحلة مع بدايات مرحلة المراهقة وتستمر الى نهايتها. وفي هذه المرحلة يواجه المراهق سؤالا لم يطرحه على نفسه من قبل هو: من انا؟ ويجهد باحثا عن اجابة لهذا السؤال وامكانياته العقلية والمعرفية التي لم تبلغ أشدها، ورومانسية مغالية تحجب عنه الواقع وتدفع به للعيش مع ما هو خيالي. ان ما يتوفر لهذا المراهق من مساعدة وما يقاربه من خبرات وما يطلع عليه من نماذج متلفزة او مقروءة او حية تلعب دورا في ايصاله الى تحديد هويته بتحديد الادوار المنوطة به وذلك هو المسار النمائي الصحي الذي يهنو الى الانتقال السلس والسوي الى مرحلة الرشد المبكر.

6) **مرحلة الالفة في مقابل العزلة Intimacy Vs. Isolation:** تبدأ هذه المرحلة مع بدايات مرحلة الرشد المبكر، ومع هذه البدايات يكون الشاب قد تخلص من سطوة الانوية وحصل لنفسه على اجابات مقنعة للعديد من الاسئلة، ورسا على ارضية الواقع الشخصي والاجتماعي، وعاد ليواجه ضرورة العيش مع الاخر وتطوير مشاعر المودة والالفة وصولا الى التوافق مع هذا الاخر ومشاركته في التفكير والانجاز والتخطيط وبالتالي الانخراط الصحي في عجلة النظام الاجتماعي اما في الجامعة او العمل.

7) **مرحلة الانتاج في مقابل الركود Generativity Vs. Stagnation:** ان شاباً قد نجح في تحقيق الالفة في مرحلة الرشد المبكر مرشح لتطوير مشاعر القدرة على الانتاج بناء على ما يتجه بالفعل. فمع بدايات هذه المرحلة يكون الشاب قد تزوج وأنجب، والتحق بوظيفة او مارس اعمالا خاصة. وكون صداقات عائلية، استقرت معاييره الاخلاقية وتكاملت الى حد ما ابنيته

المعرفية، وانتهى تكوينه الأكاديمي او المهني. هذه الانجازات تعمل تطوير مشاعر حقيقية بقدراته على متابعة الانتاج والابداع ليكون عطاؤه في هذه المرحلة متميزا.

8) **مرحلة تكامل الانا في مقابل الاحساس باليأس Integrity Vs. Despair:** مع بدايات مرحلة الشيخوخة او مرحلة الرشد المتأخرة تبدأ هذه المرحلة ومعها يقف الكهل مع اوائل الستينات من عمره متأمل مقيما لما اتم انجازه من علم او مال او بناء او علاقات اجتماعية. او العلاقة بينه وبين خالقه. ان كانت نتائج هذه الوقفة ايجابية، مرضها عنها مريحة يشعر الفرد بتكامل الانا فقد حقق ذاته وحصل على ما حلم به وما صبا اليه. وهذا يحضر لشيخوخة دافئة مريحة مطمئنة وعلى العكس ان كانت نتائج تلك الوقفة سلبية.

3. نظرية جان بياجيه في التطور المعرفي Cognitive Theory:

إذا كانت نظريات التحليل النفسي بعامة قد اكدت على العمليات اللاشعورية، فإن النظريات المعرفية ركزت على العمليات المعرفية الشعورية (الاحساس، الانتباه، الادراك، التفكير... الخ) وتأتي نظرية جان بياجيه (1896-1980) في النمو المعرفي على رأس هذه النظريات.

يرى بياجيه ان هناك وظيفتين اساسيتين للتفكير وثابتتين لا تتغيران مع تقدم العمر هما: التنظيم organization والتكيف adaptation وتمثل وظيفة التنظيم نزعة الفرد الى ترتيب العمليات العقلية وتنسيقها في انظمة كلية متناسقة ومتكاملة، اما وظيفة التكيف فتمثل نزعة الفرد الى التلاؤم مع البيئة التي يعيش فيها.

والتكيف عبارة عن تغيرات في العضوية تحدث استجابة لمطالب البيئة وتعتبر عملية التكيف وظيفة على درجة كبيرة من الاهمية، وقد ولدت جميع العضويات مزودة بالاستعداد للتكيف مع بيئتها، وتختلف الطرق التي تتكيف بها الكائنات الحية من عضوية الى اخرى، ويحدث التكيف من خلال عمليتين تتم كل منهما الاخرى. وهاتان العمليتان هما: التمثل assimilation والموائمة accommodation اما التمثل من وجهة نظر بياجيه عبارة عن عملية تعديل المعلومات الجديدة بما

د. محمد عبد مطشر اللامي

يتناسب مع ما لدى الفرد من ابنية معرفية اما الموائمة فتعني تغيير او تعديل ما لدى الفرد من ابنية معرفية لتتناسب مع المعلومات او الخبرات الجديدة التي يواجهها الفرد.

وخلال حياة الانسان تظل عمليتا التمثيل والموائمة نشطتين بشكل مستمر اذ اننا نكافح باستمرار من اجل التكيف مع متغيرات العالم الذي نواجهه ولذا فأنه يطلق على هاتين العمليتين اسم الثوابت الوظيفية باعتبارهما لا تتغيران خلال عمليات تطور الانسان. اما الذي يتغير خلال هذه العملية فهو الابنية المعرفية التي غالبا ما تسمى سكيمات schemes وتسمح للطفل بالتقدم تدريجيا في فهم العالم بمستويات أفضل. ومن وجهة نظر بياجيه فإن هناك مستويات مختلفة من الفهم المعرفي التي تنتقل بالطفل من اداء الانشطة الوظيفية المستندة الى الحس جركية في مرحلة الرضاعة الى مستويات التفكير المجرد في مرحلة المراهقة.

ويرى بياجيه ان مفتاح التغير في التطور المعرفي يتضمن العمليات العقلية المتوافرة لدى الطفل، وبشكل عام تصبح هذه العمليات أكثر تعقيدا وتكيفا واستقلالية عن المثيرات المباشرة، ولا شك ان العمليات المعرفية التي يكتسبها الطفل في المرحلة الاولى من حياته تعتبر الاساس الذي تبنى عليه العمليات المعرفية الاكثر تعقيدا في المراحل اللاحقة.

والسؤال الذي يطرح كثيرا حول نظرية بياجيه يتعلق بالأسباب التي تؤدي الى انتقال الفرد من مرحلة تطوريه الى اخرى وللإجابة عن هذا السؤال حدد بياجيه اربعة عوامل رئيسية يمكن تلخيصها كما يأتي:

اهم المراحل التي حددها بياجية

1) **النضج:** ان نمو الجهاز العصبي المركزي والدماغ والتناسق الحركي وغيرها من جوانب التطور الجسمي تؤثر في التطور المعرفي فما لم تتطور قدرة الطفل على التنسيق الحركي الى حد معين، فلن يتمكن الطفل من المشي وإذا كانت قدرات الطفل في اكتشاف بيئته محدودة فلن يتعلم منها الكثير وبالرغم من ان النضج يعتبر مهماً في التطور العقلي إلا أنه لا يفسره بشكل كاف ولو كان النضج كافياً لتفسير ذلك فسوف يكون الدور الذي يمكن أن يلعبه المربون في هذا الجانب هامشياً ومحدوداً.

د. محمد عبد مطشر اللامي

2) **التفاعل مع الخبرة المادية Interaction with physical experience:** يمكن ان يؤدي تفاعل الطفل مع بيئته الى زيادة نسبة التطور لأن ملاحظة الاشياء والقدرة على التحكم بها يساعد في ظهور تفكير أكثر تعقيداً.

3) **التفاعل مع البيئة الاجتماعية Interaction with social environment:** ويشير ذلك الى أثر كل من اللغة والتدريس والقراءة بالإضافة الى عملية التفاعل الاجتماعي مع مجموعة الرفاق والأقران والكبار، التي تعتبر جميعها من الخبرات التي يمكن ان تؤثر في التطور المعرفي.

4) **التوازن:** وهي عملية ذاتي تتضمن استعادة حالات الاتزان في فترات عدم الاتزان انه عملية يكتسب من خلالها الفرد وظائف العمليات المعرفية العليا من خلال سلسلة لا نهائية من عمليات التمثل والموائمة.

د. محمد عبد مطشر اللامي